

كامل كمال

قصص فكاهية

الطبعة الثانية عشرة



دار المعارف بمصر

رقم الإيداع	١٩٧٦/١٧٤٥
الترقيم الدولي	ISBN ٩٧٧-٢٤٦-٠٥٠-٥

الناشر : دار المعارف بمصر - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج. م. ع.

١ - « أَبُو الْحَسَنِ » وَأَصْحَابُهُ

نشأ « أَبُو الْحَسَنِ » فِي مَدِينَةِ « بَغْدَادَ » فِي زَمَنِ الْخَلِيفَةِ
« هَارُونَ الرَّشِيدِ ». وَكَانَ أَبُوهُ غَنِيًّا جَدًّا ، فَلَمَّا مَاتَ وَرِثَ مِنْهُ
أَمْوَالًا كَثِيرَةً . فَقَسَمَهَا قِسْمَيْنِ مُتَسَاوَيْنِ ، وَادَّخَرَ نِصْفَ ثَرْوَتِهِ ،
وَوَقَفَ النِّصْفَ الْآخَرَ عَلَى مَسَرَّاتِهِ وَمَبَاهِجِهِ . فَاجْتَمَعَ حَوْلَهُ كَثِيرٌ
مِنَ الْأَصْحَابِ الَّذِينَ تَظَاهَرُوا لَهُ بِالْحُبِّ وَالْإِخْلَاصِ .
وَقَدْ أَتَقَّ عَلَيْهِمْ نِصْفَ ثَرْوَتِهِ فِي زَمَنِ قَلِيلٍ . ثُمَّ تَظَاهَرَ
لَهُمْ بِالْفَقْرِ ، فَهَجَرُوهُ وَامْتَنَعُوا عَنْ زِيَارَتِهِ .

٢ - يَبْنَ « أَبِي الْحَسَنِ » وَأُمُّهُ

فَذَهَبَ « أَبُو الْحَسَنِ » إِلَى أُمِّهِ بَاكِيًا ، وَقَصَّ عَلَيْهَا غَدَرَ
أَصْحَابِهِ الَّذِينَ هَجَرُوهُ لِفَقْرِهِ . فَقَالَتْ لَهُ :
« إِنَّهُمْ لَمْ يُصَاحِبُوكَ إِلَّا لِمَالِكَ ، فَلَمَّا عَلِمُوا بِفَقْرِكَ هَجَرُوكَ .
فَاخْضِظْ بِالنِّصْفِ الْآخَرِ مِنْ ثَرْوَتِكَ ، وَانْتَفِعْ بِهَذَا الدَّرْسِ الْقَاسِيِ
الَّذِي تَعَلَّمْتَهُ يَا وَلَدِي . »

٣ - خُطَّةُ «أَبِي الْحَسَنِ»

فَأَقْبَسَ «أَبُو الْحَسَنِ» ، إِنَّهُ لَنْ يَعُودَ إِلَى مُصَاحَبَةِ رِفَاقِهِ الْقُدَمَاءِ ،
وَلَنْ يُصَاحِبَ - بَعْدَ الْيَوْمِ - إِلَّا الْفُرَبَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْرِفُهُمْ ،
وَلَنْ تَدُومَ صُحْبَتُهُ مَعَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ أَكْثَرَ مِنْ لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ .
فَكَانَ يَقِفُ عَلَى الْجِسْرِ وَقْتَ الْغُرُوبِ . فَإِذَا رَأَى غَرِيبًا قَادِمًا
عَلَيْهِ ، دَعَاهُ إِلَى مَنْزِلِهِ ، وَضَافَهُ عِنْدَهُ ، وَأَكْرَمَهُ طَوْلَ لَيْلَتِهِ .
فَإِذَا طَلَعَ الصُّبْحُ وَدَّعَهُ وَأَنْكَرَهُ ، وَأَبَى أَنْ يُسَلِّمَ عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ
أَبَدًا . وَقَدْ أَخَذَ نَفْسَهُ بِهَذِهِ الْخُطَّةِ سَنَةً كَامِلَةً .

٤ - «هَارُونُ الرَّشِيدُ»

وَوَقَفَ «أَبُو الْحَسَنِ» - عَلَى عَادَتِهِ - ذَاتَ مَسَاءٍ عِنْدَ
الْجِسْرِ ، فَرَأَى الْخَلِيفَةَ «هَارُونَ الرَّشِيدَ» ، وَكَانَ قَدْ خَرَجَ فِي
زِيٍّ تَاجِرٍ قَادِمٍ مِنَ «الْمَوْصِلِ» ، وَمَعَهُ خَادِمُهُ . فَرَحَّبَ بِهِ
«أَبُو الْحَسَنِ» ، وَدَّعَاهُ إِلَى بَيْتِهِ ، بَعْدَ أَنْ أَخَذَ عَلَيْهِ الْمَوَائِيقَ
أَنْ يَبِيتَ عِنْدَهُ لَيْلَةً وَاحِدَةً ، ثُمَّ لَا يَلْقَاهُ بَعْدَهَا أَبَدًا . فَعَجِبَ

الْخَلِيفَةُ ، وَسَأَلَهُ عَنْ سَبَبِ هَذَا ، فَأَخْبَرَهُ «أَبُو الْحَسَنِ» بِقِصَّتِهِ كُلِّهَا . فَاشْتَدَّ عَجْبُهُ ، وَسَارَ مَعَهُ الْخَلِيفَةُ وَخَادِمُهُ حَتَّى وَصَلُوا إِلَى الْبَيْتِ . وَرَأَى الْخَلِيفَةُ مِنْ كَرَمِ «أَبِي الْحَسَنِ» مَا أَدَّهَشَهُ . فَسَأَلَهُ : «أَلَا تَتَمَنَّى شَيْئًا يَا أَبَا الْحَسَنِ ؟» فَقَالَ لَهُ : «أَتَمَنَّى أَنْ أَصْبِحَ خَلِيفَةً ، وَلَوْ يَوْمًا وَاحِدًا ، لِأُعَاقِبَ خَمْسَةً مِنَ الْأَشْرَارِ ، يَعِيشُونَ بِالْقُرْبِ مِنْ مَنْزِلِي ، وَيَدْخُلُونَ فِيمَا لَا يَنْعِيهِمْ ، وَلَا يَسْلُمُ أَحَدٌ مِنْ شَرِّهِمْ .»

٥ - فِي قَصْرِ الرَّشِيدِ

فَضَحِكَ الْخَلِيفَةُ مِنْ قَوْلِهِ ، وَعَزَمَ عَلَى تَحْقِيقِ أُمْنِيَّتِهِ . ثُمَّ غَافَلَهُ وَوَضَعَ دَوَاءً مُنَوِّمًا فِي شَرَابِهِ ، فَلَمْ يَكُدْ يَشْرَبُهُ حَتَّى نَامَ . فَأَمَرَ الْخَلِيفَةُ خَادِمَهُ أَنْ يَحْمِلَ «أَبَا الْحَسَنِ» إِلَى قَصْرِهِ ، وَيَضَعَهُ عَلَى بَرِيرِهِ ، وَيُلْبِسَهُ مَلَابِسَهُ . ثُمَّ أَمَرَ كُلَّ مَنْ فِي قَصْرِهِ أَنْ يُطِيعُوا «أَبَا الْحَسَنِ» فِي كُلِّ مَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ ، بَعْدَ أَنْ يُؤْهِمُوهُ أَنَّهُ هُوَ الْخَلِيفَةُ «هَارُونُ الرَّشِيدُ» .



٦ - دَهْشَةُ «أَبِي الْحَسَنِ»

وَلَمْ يَكْذِبِ الْفَجْرُ يَطْلُعُ حَتَّى يَقْظُوهُ مِنْ نَوْمِهِ . فَدَهَشَ
«أَبُو الْحَسَنِ» حِينَ رَأَى نَفْسَهُ فِي سَرِيرِ الْخَلِيفَةِ - وَهُوَ مِنَ
الَّذِينَ الْأَبْرَزِ - وَحَوْلَهُ الْجَوَارِي وَالْخَدَمُ يُنَادُونَهُ خَاشِعِينَ :
«عِمَّ صَبَاحًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ» . وَظَنَّ «أَبُو الْحَسَنِ» أَنَّهُ فِي حُلْمٍ ،
فَلَمَّا أَتْبَتُوا لَهُ أَنَّهُ يَقْظَانُ ، وَأَنَّهُ هُوَ نَفْسُهُ الْخَلِيفَةُ عَظُمَتْ دَهْشَتُهُ .

٧ - عَلَى عَرْشِ الْخَلِيفَةِ

ثُمَّ مَثَلَ الْوَزِيرُ « جَعْفَرُ » بَيْنَ

يَدَيْهِ ، وَقَالَ لَهُ : « لَقَدْ اكْتَمَلَ

الْمَجْلِسُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ » .

ثُمَّ سَارَ مَعَهُ حَتَّى أَجْلَسَهُ عَلَى

عَرْشِ الْخَلِيفَةِ ، وَهُوَ حَائِرٌ ذَاهِلٌ

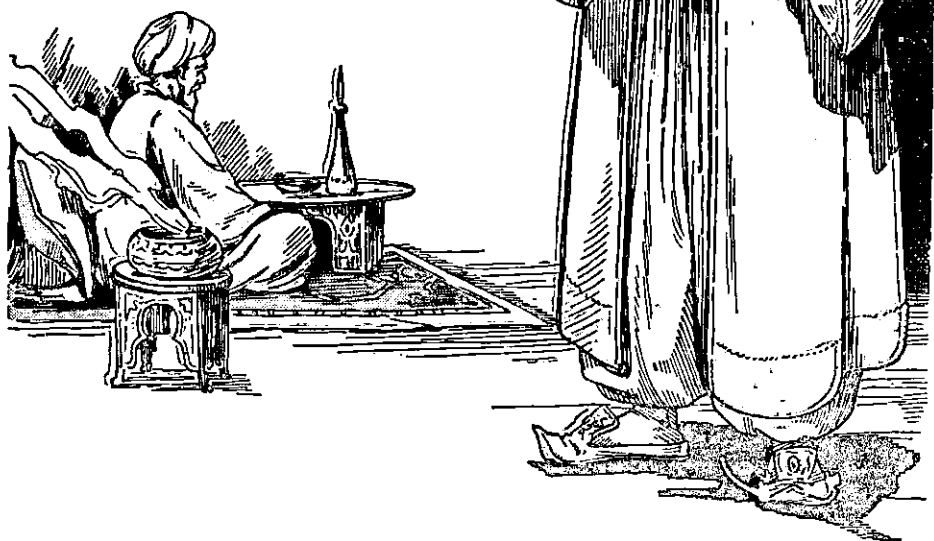
مِنْ شِدَّةِ الدَّهْشَةِ . وَكَانَ الْخَلِيفَةُ



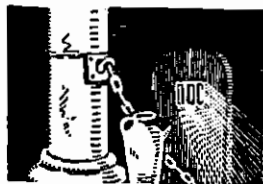
يُرَاقِبُهُ مِنْ نَافِذَةٍ عَالِيَةٍ ، وَقَدْ تَمَلَّكَهُ السُّرُورُ وَالْفَرَحُ .
 وَلَمْ يَكَدْ «أَبُو الْحَسَنِ» يَجْلِسُ عَلَى الْعَرْشِ حَتَّى أَمَرَ كَبِيرَ
 الشُّرْطَةِ أَنْ يُنْكَلَّ بِأُولَئِكَ الْأَشْرَارِ الْخَمْسَةِ ، أَعْنَى : يُعَاقِبُهُمْ عِقَابًا
 شَدِيدًا يَجْعَلُهُمْ عِبْرَةً لِغَيْرِهِمْ ، كَمَا أَمَرَهُ أَنْ يُعْطِيَ أُمَّ «أَبِي
 الْحَسَنِ» كِسَا فِيهِ أَلْفُ دِينَارٍ . وَبَعْدَ قَلِيلٍ ذَهَبَ «أَبُو الْحَسَنِ»
 إِلَى غُرْفَةٍ أُخْرَى ، فَحَضَرَتِ الْجَوَارِي وَظَلِلْنَ يَعْرِفْنَ عَلَى الْعُودِ
 وَيُغَنِّينَ أَحْسَنَ الْغِنَاءِ ، وَهُوَ لَا يَعْرِفُ : أَهْوَى فِي يَقْظَةٍ أَمْ هُوَ حَالِمٌ ؟



٨ - فِي بَيْتِ «أَبِي الْحَسَنِ»
 وَلَمَّا أَقْبَلَ اللَّيْلُ ، وَضَعُوا لَهُ
 فِي شَرَابِهِ دَوَاءً مُنَوِّمًا . فَلَمْ يَكُنْ
 يَشْرَبُهُ حَتَّى نَامَ ، فَحَمَلُوهُ إِلَى بَيْتِهِ .
 وَلَمَّا طَلَعَ الصُّبْحُ ، وَرَأَى نَفْسَهُ
 نَائِمًا عَلَى سَرِيرِهِ ، صَرَخَ مِنْ شِدَّةِ
 الدَّهْشَةِ وَالْأَلَمِ . فَجَاءَتْهُ أُمُّهُ



وَسَأَلَتْهُ عَنْ سَبَبِ صِيَاحِهِ ، فَقَالَ لَهَا : « أَلَسْتُ أَنَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ :
 هَارُونَ الرَّشِيدَ ؟ » . فَقَالَتْ لَهُ : « هَلْ جُنِنْتَ يَا وَلَدِي ؟ أَنْتَ
 أَبُو الْحَسَنِ » . فَقَالَ لَهَا : « كَلَّا بَلْ أَنَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ . »
 فَحَاوَلَتْ أَنْ تُسَلِّبَهُ وَتُعِيدَ إِلَيْهِ عَقْلَهُ ، وَقَصَّصَتْ عَلَيْهِ مَا نَزَلَ
 بِأَعْدَائِهِ مِنْ عِقَابٍ ، وَأَخْضَرَتْ لَهُ الْكِيسَ الَّذِي أَرْسَلَهُ إِلَيْهَا
 الْخَلِيفَةُ - أَمْسٍ - وَفِيهِ أَلْفُ دِينَارٍ . فَعَرَفَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ
 حَالِمًا ، وَقَالَ لِأُمِّهِ : « الْآنَ أَتَقَنَّتُ أَنِّي أَنَا الْخَلِيفَةُ ، وَقَدْ أَمَرْتُ
 - أَمْسٍ - كَثِيرَ الشُّرْطَةِ بِضَرْبِ هَؤُلَاءِ الْأَشْرَارِ ، وَإِرْسَالِ هَذَا
 الْكِيسِ إِلَيْكَ . »



٩ - اليمارستان

فَحَاوَلَتْ أُمُّهُ أَنْ تُقْنِعَهُ بِأَنَّهُ وَاهِمٌ فِي ظَنِّهِ، فَاشْتَدَّتْ نَوْرَتُهُ وَهَيَّاجُهُ.

وَأَقْبَلَ الْجِيرَانُ يَسْأَلُونَ عَنِ الْخَبَرِ،

وَمَا كَادُوا يَسْمَعُونَ قَوْلَهُ: إِنَّهُ الْخَلِيفَةُ

حَتَّى اعْتَقَدُوا أَنَّهُ جُنٌّ. فَحَمَلُوهُ إِلَى

الْيِمَارِستانِ حَيْثُ قَضَى شَهْرًا. وَلَمْ

يُخْلَوْا سَبِيلَهُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ عَادَ إِلَيْهِ

رُشْدُهُ وَقَرَّرَ لَهُمْ أَنَّهُ «أَبُو الْحَسَنِ».



١٠ - بَيْنَ الْخَلِيفَةِ وَأَبِي الْحَسَنِ

ثُمَّ خَرَجَ «أَبُو الْحَسَنِ» - عَلَى عَادَتِهِ - إِلَى جِسْرِ «بَغْدَاد» فَلَقِيَ الْخَلِيفَةَ مَرَّةً ثَانِيَةً ، وَهُوَ فِي زِيٍّ تَاجِرٍ ، فَحَيَّاهُ الْخَلِيفَةُ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ تَحِيَّتَهُ . فَظَلَّ الْخَلِيفَةُ يَتَوَدَّدُ إِلَيْهِ حَتَّى رَضِيَ عَنْهُ «أَبُو الْحَسَنِ» ، وَدَعَاهُ إِلَى بَيْتِهِ ، وَأَفْضَى إِلَيْهِ بِمَا حَدَّثَ لَهُ . فَتَأَلَّمَ الْخَلِيفَةُ لِمَا أَصَابَهُ .

١١ - فِي قَصْرِ الْخَلِيفَةِ

وَلَمَّا جَاءَ وَقْتُ النَّوْمِ أَلْقَى الْخَلِيفَةُ الدَّوَاءَ فِي شَرَابِ «أَبِي الْحَسَنِ» ، فَقَامَ الْخَادِمُ وَحَمَلَهُ إِلَى الْقَصْرِ . وَجَاءَ الصَّبَاحُ فَأَيْقَظُوهُ . وَرَأَى نَفْسَهُ فِي قَصْرِ الْخَلِيفَةِ مَرَّةً أُخْرَى ، وَالْجَوَارِي حَوْلَهُ يُحْيِيْنَهُ . فَارْتَبَكَ «أَبُو الْحَسَنِ» ، وَكَادَ يُجَنُّ مِنَ الدَّهْشَةِ ، وَخُيِّلَ إِلَيْهِ أَنَّهُ فِي مَنَامٍ . ثُمَّ غَنَّتْهُ الْجَوَارِي ، وَأَقْبَلْنَ عَلَيْهِ بِاسِمَاتٍ . وَجَاءَهُ الْوَزِيرُ «جَعْفَرُ» يُحْيِيهِ . فَقَالَ «أَبُو الْحَسَنِ» : «مَنْ أَنَا ؟ أَتُرَانِي حَالِمًا ؟» فَقَالَ لَهُ : «أَنْتَ الْخَلِيفَةُ هَارُونُ الرَّشِيدُ» . فَقَالَ

«أَبُو الْحَسَنِ» لِأَحَدِ الْخَدَمِ : «إِذَا كُنْتُ أَنَا فِي يَقْطَعَةٍ فَعَضَّ
 أُذُنِي ، لِأَثَقَ بِأَنِّي يَقْطَانُ ، وَأَتَثَبْتُ مِنْ أَنَّي لَسْتُ فِي حُلْمٍ .
 فَعَضَّ الْخَادِمُ أُذُنَهُ . فَصَرَخَ «أَبُو الْحَسَنِ» مِنْ شِدَّةِ الْأَلَمِ ، وَقَالَ :
 «الآنَ عَرَفْتُ أَنَّي لَسْتُ نَائِمًا ، وَأَيَقَنْتُ أَنَّي لَمْ أَكُنْ حَالِمًا .
 الآنَ أَدْرَكْتُ أَنَّي الْخَلِيفَةُ هَارُونُ الرَّشِيدُ .»





وَظَلَّ «أَبُو الْحَسَنِ»
 يَعْجَبُ مِمَّا يَرَاهُ فِي
 قَصْرِ الْخَلِيفَةِ ، وَهُوَ
 يَتَرَدَّدُ فِي تَصْدِيقِ
 مَا تَرَاهُ عَيْنَاهُ وَتَسْمَعُهُ
 أُذُنَاهُ . ثُمَّ صَاحَ بِأَعْلَى
 صَوْتِهِ ، وَقَدْ كَادَ يُجَنُّ
 مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ :
 « لَا شَكَّ فِي أَنِّي
 أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَا
 رَبِّ فِي أَنِّي لَسْتُ أَبَا
 الْحَسَنِ ! »

١٢ - خَاتِمَةُ الْقِصَّةِ

وَكَانَ الْخَلِيفَةُ يَرَى ذَلِكَ كُفْلَهُ وَيَسْمَعُهُ . فَدَخَلَ الْغُرْفَةَ
وَقَدْ كَادَ يَقَعُ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شِدَّةِ الضَّحِكِ .
فَعَرَفَهُ « أَبُو الْحَسَنِ » ، وَأَذْرَكَ حَقِيقَةَ أَمْرِهِ ، وَارْتَمَى عَلَى
قَدَمَيْهِ يُقَبِّلُهُمَا . وَفَرِحَ بِهِ الْخَلِيفَةُ وَعَانَقَهُ ، وَغَمَّرَهُ بِالْهَذَا
وَالْمَالِ ، وَاتَّخَذَهُ نَدِيمًا لَهُ مُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ .



الطالِبُ النَّشِيطُ

أَنَا لَا زِلْتُ تَلْمِيزًا صَغِيرًا وَلَكِنِّي - عَلَى صِغَرِي - مُجِدُّ
 أَسِيرُ إِلَى الْعُلَا سِيرًا حَيْثَا وَأَنْشَطُ - نَحْوَ غَايَتِهَا - وَأَعْدُو
 وَلَيْسَ يَصِيرُنِي صِغَرِي ، إِذَا لَمْ يُثَبِّطْنِي عَنِ الْعُلْيَاءِ جَهْدُ
 وَمَا يُغْنِي الْفَتَى طَوْلٌ وَعَرَضٌ ، إِذَا لَمْ يُغْنِهِ فَهْمٌ وَرُشْدُ
 فَلَيْسَ يُقَاسُ إِنْسَانٌ بِشَبْرٍ لِيُعْرِفَ قَدْرَهُ ، إِنْ جَدَّ جَدُّ
 نَبَتْ الْقَمْحِ مُرْتَقِعٌ قَلِيلًا ، وَلَكِنْ هَلْ لَهُ فِي النَّفْعِ حَدُّ ؟
 حُوَّ الْقَوْتُ الَّذِي نَحْيَا جَمِيعًا بِهِ ، وَهُوَ الَّذِي مَا مِنْهُ بُدُّ
 قَدْ يَنْعَلُو سَابِلَهُ نَبَاتٌ قَلِيلُ النَّفْعِ ، يُعْجِبُ حِينَ يَبْدُو
 كَمْ عُدُوٍّ مِنَ الْقَصَبِ اغْتِلَاةٌ وَمَا هُوَ - رِفْعَةً - لِلْقَمْحِ نَدُّ
 نَجَرُ الْمَرْءِ عِلْمٌ يَبْتَغِيهِ ، وَإِخْلَاصٌ يُحْلِيهِ ، وَكَدُّ

سَوْفَ أَكُونُ مِنْ أَمْثَلِ الْقَمْحِ تَعْمًا ، وَقَدْ مَا أَحْرَزَ السَّابِقُ الْمُجِدُّ
 نَزْرِكُ هِمَّتِي شَرَفًا وَمَجْدًا ، وَحَسْبِي - غَايَةً - شَرَفٌ وَمَجْدُ